المحاضرة الثانية : تشكّلات السرد في القصة العربية

تعريف القصة: تعتبر القصة فن من الفنون الأدبية العالمية، وهي فن قديم جدا، وقد وجد عند معظم الشعوب والأمم قبل الإسلام، وخصوصا عند حضارات الروم والفرس والقرآن الكريم يزخر بالعديد من قصص الأمم السابقة والحضارات الغابرة ، ونجد أن القرآن الكريم قد خاطب العرب بطريقة أو أسلوب قصصي ملائم لميولهم وطبائعهم المحبة لهذا الفن والاخبار التاريخية والحكايات المختلفة في مجالس السمر والسهر ،وتتميز القصص العربية قبل الإسلام بمدى واقعيتها وخلوها من عنصر الخيال والمبالغة في السرد والاسهاب في الوصف .

وقد اهتم العرب بالقصة وحرصوا على جمع ورواية اختبارهم التاريخية وحكاياتهم المرتبطة بالحروب والحوادث المهمة التي كانت تحدث في حياتهم اليومية بين الحين والآخر ، والقصة فن نثري متميز ومشهور جدا ، وهي مجموعة من الأحداث والوقائع تتناول واقعة أو وقائع وهي تتعلق بشخصيات إنسانية واقعية منها وبعضها غير إنساني .

القصة لغة : من قصَّ الأثر وتتبعه ،وقصَّ الخبر بمعنى أعلمه أو أورده ،فالقصة هي :الخبر الذي يتألف من أحداث يتتبعها القاص بالألفاظ والمعاني التي يتلقاها الآخرون بالاستماع أو بالقراءة وتعرف بأنها :سرد أدبي مكتوب أو شفوي مبني على حدث أو جملة من الأحداث التي قد تكون واقعية أو خيالية.

كما تمتاز بالوصف حيث قد تطول أو تقصر حسب الحاجة إلى ذلك في عملية السرد ،كما أنها تحتوي على شخصية أو أكثر. وهذه الأخيرة قد تكون الشخصية الرئيسية التي يبنى على أساسها الأحداث والقصة بصفة عامة ،كما يمكن أن تكون ثانوية تؤثر في الحدث أو العكس كما يمكن أن تكون هذه الشخصيات غير إنسانية ، مثل الحيوانات أو جمادات تتلمس صفات إنسانية وتكون هذه الأحداث ذات زمن وبيئة محددين كما أنها تحمل طابعا ثقافيا تعليميا أو سياسيا أو اجتماعيا ، وهذه القصة بأحداثها وشخصياتها سواء كانت إنسانية أو غير ذلك فإنها تؤثر مجتمعة في القارئ أو المتلقي .

هذا بالإضافة إلى أنها قد عرفت في بداياتها الأولى على أنها فن شعبي شفوي ومن أهم القصص العربية المشهورة كليلة ودمنة ، وسيرة عنترة وألف ليلة وليلة وغيرها .

وفي تعاريف أخرى للقصة: هي مجموعة من الأحداث أو الوقائع التي يسردها الكاتب أو القاص على جمهور القراء أو المتلقين، وتشتمل القصة على حادثة أو أكثر وهذه الحوادث مرتبطة بشخصيات إنسانية تختلف في طرق عيشها وتفاعلها على مجريات الحياة ومن خلال هذا يمكننا القول أن القصة تعتبر من أقوى العوامل التي تجذب انتباه الإنسان وهي تمتاز بالمتعة والتشويق وهذه العناصر هي التي تجذب القارئ وتثير انفعالاته ممّا ينتج عنده نوع من الفضول لإكمال ومتابعة مجرياتها لمعرفة نهايتها .

كما ورد معنى القصة في اللغة على أنها الجملة من الكلام وهي الحديث والأمر والشأن ، وهي حكاية طويلة مستمدة من الخيال أو الواقع أو من الاثنين معا وتكون مبنية على قواعد محددة من الفن الأدبي وجمعها قصصُ.

والقصة باعتبارها فنا قائما بذاته فكان منذ بداية القرن التاسع عشر، ومنذ ذلك الحين ازداد اهتمام النقاد بها مع بداية القرن العشرين ،حيث تضاربت الآراء وتعددت حول هذا الفن فاعتبرها البعض من النقاد عملا فنيا حديثا ليس له علاقة بالماضي إلاّ أن أراء البعض الآخر التي رجحت صحة أن لها جذور ضاربة تمتد إلى الماضي العريق، وذلك أنها توجد من العدم بل كانت نتيجة لفنون سابقة من الماضي . ومن البوادر الأولى لهذا الفن مقامات بديع الزمان الهمذاني ومن نهج نهجه.

كما هو معروف أن الفنون الأدبية بأنواعها ظهرت نتيجة لحاجة الإنسان الملحة لها من أجل التعبير أدبيا ولغويا عن ما يجول في خاطره وخاصة ما يمر به تجارب في الحياة .

والقصة من بين الفنون النثرية الأدبية التي عرفت منذ القدم وذلك لسبب حاجة الإنسان الملحة للتعبير عن مكنوناته وتجاربه حيث انتشرت الحكايات الخرافية بداية وبدأ تداولها شفويا فكانت بمثابة المأوى الذي يلجأ إليه الناس للاسترخاء والترفيه عن النفس لما واجهوه من أعباء في الحياة والقصة بدورها تقوم بهذا العمل وتحقق المتعة وذلك من خلال سرد لتجارب الأجداد والآباء والمضي على خطاهم للتطلع إلى آمال في المستقبل .

كما تعتبر القصة وسيلة توجيهية مثلها مثل الحكم والأمثال والوصايا والتي تترك في نفس المتلقي أو القارئ أثر عميق وتفتح أمامه سبل واسعة لتجاوز مطبات الحياة والمضي إلى الأمام دون الوقوع في الأخطاء . والقصة هي الأخرى وسيلة من الوسائل التوجيهية التي تسهل حياة الإنسان ، حيث تميل النفس الإنسانية إلى سماعها وخاصة حين يتخيل هذا القارئ أو المستمع أنه جزء من هذه الحوادث والوقائع حيث في نفسه مشاعر وأحاسيس تجعله شخصية من شخصياتها، يفرح لفرحها ويحزن لحزنها وبهذا تصل فكرة

الكاتب بصورة واضحة وجلية إليه ويحدث بهذا الانسجام داخل النص القصصي لتحقيق الغاية المرجوة من هذه القصص. وبالتالي يصل الكاتب والقارئ إلى المتعة الحقيقية وهي فك شيفرات القصة والعمل بها.

عناصر القصة : تتضمن القصة جملة من العناصر الأساسية التي لا تكتمل بدونها وهي :

أ. **السرد :** ويقصد به طريقة عرض الأحداث أي الأسلوب الفني، واللغوي الذي يستخدم فيه الكاتب مهاراته الكتابية والألفاظ اللغوية القوية ، والمناسبة ، حتى ينتج قصة ثرية ،ومليئة بالحيوية ،والتشويق. يعد السرد أحد أركان النسيج القصصي الأساسية، حيث يسهم في الربط بين أجزاء القصة وتتابعها، تتابعاً فنياً متيناً.

يمكن تعريف السرد على أنه الإخبار عن الأحداث ونقلها، والسرد ليس إلاّ الخطاب اللفظي الذي يخبرنا عن هذا العالم، وهو الذي يسمى أحيانا بالتلفظ، وهو يعني التواصل المستمر الذي من خلاله يبدو الحكي كمرسلة يتم إرسالها من المرسل إلى مرسل إليه ، والسرد ذو طبيعة لفظية لنقل المرسلة بشكل لفظي يتميز عن باقي الأشكال الحكائية (الفيلم – الرقص ...).

والسرد يدرس على مستوى علاقة الكاتب بالراوي، وعلاقة السرد بالقصة ثم على مستوى صيغ السرد، ثم تعود من جديد إلى النص لتتحدث عنه في علاقته بالقارئ وفعل القراءة. ويعتبر السرد نمط من أنماط النصوص الأدبية، فكما يقال عن نص ما ذو نمط وصفي، وعن نص آخر انه نص ذو نمط حواري، فقد يكون النص ذا نمط سردي له خصائصه ومميزاته، وهذا النمط السردي موجود أنواع مختلفة من النصوص مثل: القصة والرواية والحكاية والخرافة والخبر الصحفي والتاريخ وغيرها.

وإذا ما عرفنا السرد لغة، فإن اللغة تتألف من فنون متعددة إن صح التعبير عنها بكلمة فن أو فنون،كالشعر القصة والخاطرة والرواية وبالتخصيص فيما يتعلق بالفنون النثرية التي تبتعد كل البعد عن الكلام الموزون المقفى أي الشعر. لأن الحكي أو الكلام في هذه الفنون النثرية يقوم على شيئين الحدث المقصود في هذا المتن من النثر والطريقة التي يحكى بها هذا الحدث وهذه الطريقة تسمى السرد.

وعلى هذا فإن الحكي في الرواية مثلا يقدم لنا من خلال السرد أي أن هناك راويا يتكلف عبر (السرد) كفعل بإرسال الحكي ،أما في المسرحية مثلا فالحكي يقدم لنا من خلال العرض أو التشخيص أو التمثيل ،أي أن الأحداث في هذه الحالة تصلنا مباشرة عبر الشخصيات وهي تقوم بتشخيص الحكي ، فنجد السرد في المسرحية والعرض في الرواية لكن الطابع المهيمن في الرواية هو السرد وفي المسرحية العرض. ومن هنا يظهر تعريف السرد على أنه الطريقة التي يعرض بها العمل النثري أيا كان نوعه ،فالقصة الواحدة يمكن سردها بطرق متعددة ، وهذه الطرق تندرج تحت اسم السرد في اللغة .

ويندرج تحت السرد ثلاث طرق رئيسية ،وهي :

1 / طريقة السرد الفردي (الذاتي) : وذلك بأن يتخذ الكاتب شخصية من شخصيات القصة ،تكون الأحداث مسرودة من خلاله .

2/ الطريقة المباشرة : ويقصد بها :أن يسد الكاتب الأحداث كأنه مؤرخ ينظر للأحداث عن بعد ، ويحكيها .

3/ طريقة الوثائق : حيث تتضمن هذه الطريقة الحكايات :أو اليوميات .

ب. **الحادثة :** أو ما يسمى ب:(الحبكة) وهي : حدث أو مجموعة من الأحداث التي تحدث في القصة ، وتكون مرتبطة معا بطريقة منطقية وتابعة لبعضها ضمن إطار زمني منسق .

ج. **الشخصيات :** وهم الشخوص الذين يأخذون أدوارا في أحداث القصة، فتعرض القصة مشاعرهم، وصفاتهم، وأدوارهم في القصة ويحدث تفاعل بين الشخصيات المختلفة حسب المواقف التي تسردها الأحداث ، ويعيش القارئ مع الشخصيات حال تطورها وانتقالها من حالة إلى أخرى ، علما بأن بعض الشخصيات تستمر على حالها منذ بداية القصة حتى نهايتها .

د. **البناء:** لكل قصة بناؤها الفني الذي يميزها وتتضمن خاصة البناء عدة أنواع ومنها :

1/ **الصورة العضوية** :حيث تكون القصة ذات أحداث كثيرة ، ولكل حدث منها تصميم تفصيلي واضح ، وجميعها تخدم الحدث الرئيسي،أو الفكرة الرئيسية للقصة .

2/ **البناء الإنتقائي:** حيث لا تكون الأحداث بالضرورة مرتبطة بصورة منظمة فالذي ينظم القصة هي الشخصية الأساسية لها ،فتكون هي مركز القصة التي تجمع الأحداث معا ، ومن الأمثلة على هذا النوع من البناء قصص المغامرات .

هـ. **الزمان والمكان :**عندما يختار الكاتب زمانا ، أو مكانا يسرد فيه أحداث القصة ،فإنه لا بد له من مراعاة الأحوال ،والعادات ، والمبادئ السائدة فيها .

و. **الفكرة :** لكل قصة فكرة أساسية تخدمها الأحداث التي تحصل في سياقها ،وقد تدور الفكرة حول حدث ما ،أو شخصية معينة أو غيرها.

د. أمينة أونيس